

المحاضرة رقم 8:

مناهج تعليم اللغات 2

المنهج التواصلي:

تمهيد:

لا شك أن الجانب التطبيقي للعلم يبنى على منطلقين، أحدهما هو إخضاع المعطيات العلمية النظرية للتجربة والاختبار، والجانب الآخر يتمثل في استعمال القوانين والنتائج العلمية لميادين في أخرى من أجل الإفادة منها، بناء على هذا التصور لمفهوم التطبيق العلمي فإن اللسانيات التطبيقية، ومختلف المناهج المستحدثة هي في جوهرها استثمار للمعطيات العلمية للنظرية اللسانية واستخدامها استخداما واعيا في حقول معرفية مختلفة، وأهم ما استثمر فيه هذا التطبيق حقل تعليمية اللغات، وذلك لأجل ترقية العملية البيداغوجية وتطوير مناهجها، وطرائق تعليم اللغة للناطقين بها ولغير ناطقيها.

1- التعريف بالمنهج التواصلي:

يعتبر المنهج التواصلي من المناهج الحديثة ظهر في السبعينيات من القرن الماضي، ظهر كاستجابة ضرورية للتغير الحاصل على مستوى فهم أنساق تعليم اللغات، أخرج التعليم والتعلم اللغويين من اعتباره مجرد ضبط للقواعد النحوية إلى تعلم خلاّق ينظر إلى العملية على أنها تفاعلية ومتداخلة. وقبل الحديث عن المنهج التواصلي يجدر بنا الإشارة إلى أن التواصل لقي اهتماما كبيرا من طرف الدارسين مما جعلهم ينظرون لعلم جديد له أسسه ومبادئه شكّل نظرية معرفية جادة. والتواصل عموما هو العملية التي يتم بها نقل المعلومات من مرسل إلى مستقبل بكيفية تشكل في حد ذاتها حدثا، وتجعل من الإعلام منتوجا لهذا الحدث.

والمنهج الاتصالي جاء كمنهج ناقد لفكر "تشومسكي"، الذي اعتبر تعريف هذا الأخير لـ "القدرة اللغوية" تعريفا ضيقا لا يتناسب مع الطبيعة الاجتماعية للغة، ومن ثم اقترح استبدال القدرة اللغوية بالقدرة التواصلية، حيث لم تعد القدرة تقتصر على معرفة قواعد اللغة وتوليد عدد لا متناه من الجمل، وإنما غير "هايمز" اهتمامه من هذا المجال الضيق إلى البحث عن قواعد القدرة التواصلية، والتي تتجاوز القواعد اللغوية إلى استعمال اللغة في المجتمع، أي البحث في شروط التداول، بالنظر إلى الزمان والمكان والمتكلم والمخاطب والوضع الاجتماعي عموما؛ أي البحث عن الإجابة عن

سؤال كبير هو: ما هي الوظائف اللغوية التي ينبغي تعليمها للتلاميذ حتى يتمكنوا من استخدام اللغة في الحياة؟

2- المنهج التواصلي النشأة والتطور:

يمكن القول بأن أصول هذا المنهج في تعليم اللغات تعود إلى التغيرات التي حصلت في نمط تعليم اللغة في أواخر الستينيات، أين سادت المقاربات القائمة على الموقفية، فكان تعلم اللغة على أنها بنى لا بد أن تطبق في أنشطة ذات أساس موقفي ومقامي، والتي اعتمدتها الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف الستينيات. ومن هنا فكر اللسانيون في تعليم اللغة من هذا المنظور الوظيفي التواصلي، فدعوا إلى ضرورة تعليم اللغة على أساس الفعالية التواصلية بدلا من مجرد اتقان للبنى الجافة المجردة. ومن أهم اللسانيين الذين دافعوا عن هذه الفكرة التواصلية بقوة "كاندلين" و "ويدسون" وكانت أرضيتهما في ذلك هي أفكار كل من "فيرث" و "هاليداي" و "هاريس" و "أوستين"، و "جون سول".

3- أهداف المنهج التواصلي:

- إكساب المتعلم المهارات اللغوية والاتصالية، أي ينظر إلى اللغة كنشاط ممارس لا مجرد حفظ للقواعد والقوانين اللغوية.
- بناء كفاية تواصلية، أي استعمال اللغة من أجل تحقيق غايات ووظائف محددة.

4- مفهوم الكفاءة التواصلية: عرّفت بأنها القدرة والابتكار المستمرين دون اعتماد لائحة محددة من قبل لإنتاج الكلام وفهمه، وهي القدرة على المواجهة والتكيف مع الوضعية غير المنتظرة القابلة للتطور، أي القدرة على عمل شيء بفاعلية وبإتقان وبأقل جهد ممكن. وقدّم العالم "هايمز" مكونات الكفاية التواصلية فيما يلي:

- **قدرة نحوية:** تضم المعرفة بالقواعد التركيبية والصوتية التي تمكن المتكلم من إنتاج جمل صحيحة ذات دلالة.
- **قدرة سيكولسانية:** وتتمثل في مختلف العوامل النفسية واللسانية التي تؤثر على المتكلم في إنتاج أو فهم الخطاب.

- **قدرة سوسيو ثقافية:** وتتعلق بالقدرة على إنتاج خطاب يراعي فيه قواعد السياق، أي أن المتكلم حين يكتسب اللغة فهو يكتسب معها كيفية استخدامها ضمن المرجعيات الاجتماعية والثقافية.

- **قدرة احتمالية:** وتعنى بمستوى استخدام الجمل المنجزة لغويا، فاللغة إذن وفق هذه القدرات هي نظام للتعبير عن المعنى، ووظيفتها الأولى هي تحقيق الاتصال والتفاعل.

5- خصائص المنهج التواصلي في تعليم اللغات: إن الخصائص العامة التي يتميز بها هذا المنهج كثيرة من أهمها:

- بناء الكفاية التواصلية لدى المتعلم في جميع جوانبها في ضوء المفهوم الشامل للاتصال من خلال الاهتمام بالوظيفة التواصلية للغة، بدلا من التركيز على الشكل والسلوك الآلي للغة.

- عرض المادة اللغوية على أساس التدرج الوظيفي التواصلي، حيث لا يطرح السؤال، ما هي القواعد المراد تعلمها للمتعم، وإنما من خلال البحث عن الوظائف اللغوية التي ينبغي تعليمها للمتعم حتى يتمكن من استخدام اللغة في المواقف الحياتية.

- التركيز على اكتساب المهارات اللغوية من خلال اختيار محتوى يمارس فيه المتعم كل المهارات اللغوية.

- تكوين أساس لغوي إبداعي إنتاجي لدى المتكلم.

- عدُّ الطلاقة اللغوية أهم من الدقة اللغوية، والمعيار النهائي في نجاح الاتصال هو التعبير الحقيقي عن المعنى المراد، وفهمه على وجهه الحقيقي.

- الدور المحوري للمتعم هو الاستراتيجيات التواصلية، وليس مجرد تجميع المفردات والوحدات اللغوية المختلفة من الذاكرة.

- التركيز على المواقف اللغوية والتعليمية والاجتماعية التي تحفز المتعم على استخدام اللغة لاكتساب معاني حقيقية ومهارات جديدة.

- الاهتمام بالنشاطات التي تخلق مواقف حقيقية، كتوجيه الأسئلة أو تسجيل المعلومات أو تبادل الأفكار، أو التعبير عن المشاعر، وهذا كله قصد تحفيز المتعم حتى يبادر.

يعتبر هذا المنهج من المناهج التي اشتغل على أسسه الكثير من البيداغوجيين سواء في إعداد المناهج، أو ضبط الأهداف والغايات من تعليم اللغات الهدف، واللغات الأم. استطاع الديداكتيكيون

استثمار هذا المنهج في ضبط المواد، ودور المعلم ودور المتعلم والدقة مقابل الطلاقة والكفاءة اللغوية مقابل الكفاءة التواصلية. والتخاطب يستلزم أنماطا متعددة من الملكات، وهي متعلقة بالمرسل أو المتلقي، بحيث يعتمد المتكلم قبل عملية التخاطب إلى تجميع كل معارفه، وكذا استثمارها حتى يتسنى له التمكن من إنشاء خطاب مفهوم من قبل المتلقي، وهو ما يجعله يلجأ إلى ملكته الاجتماعية التي تتفرع عنها الملكة التبليغية، والتي هي بدورها تنقسم إلى ملكة لسانية، وأخرى تداولية، وهكذا تتسلسل ملكات أخرى يستدعيها الإنشاء الصحيح والفعال للخطاب.

وعلى العموم يتوجب على المناهج أن تُبنى على التدريس وفق المقامات التواصلية، وإذا عزّ الأمر، توجب على المعلم أن يجتهد في بناء مواقف التعليمية الحقيقية، لكي يتمكن التلاميذ من التعبير في مختلف الوضعيات وبطريقة سليمة من الناحية النحوية، وإشعارهم بأن مواقف الكلام في المجتمع كثيرة جدا، ومختلفة أشد الاختلاف، وأن يجعلوا كلامهم مطابقا لخصوصيات كل موقف، وهو ما يسمى بالكفاية التواصلية، وهنا يصبح المعلم قادرا على لفت انتباه التلاميذ إلى أنّ هناك آدابا يجب احترامها، منها المعايير الخاصة بالمجاملة، أو بالتفاعل الاجتماعي للمجموعة، وهناك معايير خاصة بالقدرة على التعبير، فمن النوع الأول مثلا: أن يكون لكل تلميذ فرصة للكلام، وأن يجتنبوا المقاطعة وتغيير الموضوع، إلّا إذا كان ذلك ضروريا، وأن لا يحتكر فرد واحد الكلام، بل يشترك كل عضو من أعضاء المجموعة في المحادثة والمناقشة، سواء بالاستماع أو بالكلام.

